لنعمل جميعاً دون مواربة من اجل إصلاح منظومة الحكم الرشيد

عبدربه هادي رئيس الجمهورية

14 أكتوبر
14 OCTOBER
يومية - سياسية - عامة
www.14october.com
Email: 14october@14october.com

www.14october.com

المرأة ثائرة ومقاتلة

فاطمة محمد بن محمد

شكل الموقع الجغرافي المتميز لمنطقة الضالع حلقة وصل بين الشمال والجنوب ما جعلها محط صراع بين الأنظمة الحاكمة المتعاقبة في شمال الوطن، من الأتراك والأئمة والاستعمار البريطاني في الجنوب إذ أن السيطرة على منطقة الضالع كانت تعني حماية عدن بالنسبة للمستعمر وتهديد عدن بالنسبة للإمامة.

الهيمنة الاستعمارية بالحماية منذ عام 1928م ثم بالتدخل المباشر حتى عام 67م في ظل وجود نظام حكم محلي ضعيف يعتمد على الاستعانة بالمناطق الأخرى لتثبيت حكمه، ورفضه للسياسات الاستعمارية والحكم الأميري الذي عبر عنه بانتفاضات متوالية منذ انتفاضات بلاد الشعّار التي إمتدت عشرات السنين حتى أصبحت مثلاً شعبياً متداولاً "حديد ونار أمير وشعّار" وانتفاضات الأزارق وانتفاضة الشيخ الشهيد/ محمد عواس الذي قتل أول ضابط سياسي بريطاني في الضالع هو "المستر دايفي" ثم انتفاضة الشهيد/ عبدالدائم محسن الذي حاول اغتيال المستر "سيجر" عام 1950م، ومن المعروف أن (سيجر) هو صاحب خطة البساط السحري التي هجرت اليهود من عدن واليمن كلها إلى فلسطين، التأثير المباشر للانتفاضات المسلحة في منطقة ردفان عامي 57 و58م المعروفة لدينا التي هي في 1957 - 1958م بخرجة ردفان الأولى وخرجة ردفان الثانية ومن قبلها الانتفاضات التي كانت تحدث في يافع والمعروفة في الضالع بخرجة يافع.

تصاعد النضال الوطني ضد الاستعمار البريطاني في الجنوب والحكم المحلي في الشمال وتأثيراته على المنطقة وبالأخص عند إشراك كثير من أبنائها في النضال العمالي في عدن (في مصافي عدن) وتعرضهم للعقوبات التعسفية من فصل وإبعاد وعودتهم إلى المنطقة والتحاقهم بالنشاط السياسي والعمل العسكري في الانتفاضة.

انتشار المد القومي التحرري في المنطقة كما حدث يمنياً وعربياً منذ قيام ثورة يوليو وزعامة عبدالناصر وانطلاقته الفاعلة خلال معركة السويس وثورة الجزائر وما لحقهما من أحداث قومية، عملت على خلق وعي قومي تحرري بين مختلف فئات المجتمع ومنها المرأة إذ ساعد ذلك الوضع السياسي المتفجر ضد الاستعمار على تشكل الوعي بأهمية التحرر.

قيام ثورة سبتمبر التي كانت بمثابة إعلان ميلاد اليمن الجديد والتحاق المئات من أبناء المنطقة بصفوف المتطوعين في الحرس الوطني للدفاع عن الثورة والجمهورية وإحباط ومقاومة النشاط المعادي من قبل العناصر الملكية التي جمعت قواها في الضالع، والتي كانت قاعدة للعمل التخريبي ضد الثورة والجمهورية وكان للمرأة مواقف مشرفة في مواجهة فلول الملكية وصلت إلى درجة تذفهم بالحجارة وكيل الشتائم ومنع الزاد والماء عنهم بالرغم من العقوبات التي هدد الأمير باتخاذها بحق كل امرأة تتعرض لملكي.

انطلاقة ثورة 14 أكتوبر من ردفان والتي أعلنت بدء عهد جديد في النضال الوطني ضد الاستعمار وركائزه ودعم وتأييد أهالي منطقة الضالع للثوار ولمواطني ونازحي ردفان، بسبب الحرب الهمجية الاستعمارية على قراهم ومزارعهم ومواشيهم ناهيك عن إيصال الزاد والسلاح إلى الجبال. وقد كانت الضالع هي المنفذ الوحيد للتواصل معهم من جهة ومع قيادة الثورة والجمهورية من جهة أخرى. وفي الوقت نفسه أججت المشاعر وعجلت الناس في ضرورة تفجير جبهة الضالع.

المستوى الثقافي:

كانت الثورة قد وفرت تجربة كبيرة في صنع وعي المواطنين ومنها المرأة التي واجهت ببسالة كل ويلات الخراب والدمار والتشريد والحصار التي كانت تقوم بها القوات الاستعمارية لإخماد ما كانت تسميه بمواطن الفتن، كما كانت المرأة أيضاً هي مصدر القوة في تلك الانتفاضات تزرعها في عقول وأفئدة أبنائها وقد كانت تؤكد لي ذلك المناضلة/ جنة أحمد البيشي الشقيقة الكبرى للشهيد المناضل (علي عنتر). وأود الإشارة إلى ما قاله الأخ/ محمد غالب أحمد وأن من أطلق عليه اسم عنتر هي أخته وهو في الخامسة من عمره. فقد كانت تصر على أن تسميه عنتر تشبيهاً بعنترة بن شداد وتربيه تربية فروسية لأن يكون مثل عنترة بن شداد في الأساطير.

الدور الإعلامي الكبير الذي لعبته إذاعتا (القاهرة وصوت العرب) بنشر وتعميق الوعي القومي التحرري وتبني دعم النضال الوطني في جنوب الوطن وبث الأناشيد القومية والوطنية، وقد كان المذياع تتبع أهميته من كونه المصدر الوحيد للوعي الذي تتلقاه المرأة في ظل الجهل المسيطر عليها، ولذا كان جهاز الراديو في الضالع في بداية الستينات مطلباً ضرورياً كالماء والهواء قد تضطر المرأة إلى بيع مصوغاتها في سبيل الحصول على جهاز راديو.

التكوين الاجتماعي القائم على الترابط والتكافل والتشابك الأسري والتجمعات الدينية الدائمة وبالذات في ليالي رمضان والاستماع إلى الكتب التي كانت تقرأ عن السيرة في الفتوحات الإسلامية وفتوحات الشام.

الدور الهام الذي لعبه المتنورون من المتعلمين والأساتذة ورجال الدين وبروز رموز سياسية كانت لها مواقف سياسية تتغنى بالانتفاضات وبمقاومة الاستعمار وكانت أشهرها الشاعرة (معجبة بنت مهدي)، التي تغنت بانتفاضات ردفان وحتى بهتلر وبالحرب العالمية الثانية ضد الإنجليز لكراهيتها للإنجليز وتغنت بمواقف آل قطيب في 57 - 58م وبانتفاضة جحاف وبحيدرة لأنها كانت من المؤيدين للأمير (حيدرة). وقد حدث أول رفض نسائي للنظام السياسي والاجتماعي السائد في الضالع في نهاية الأربعينيات وبداية الخمسينيات في خروج عدد من بنات بهربة ليلية مرافقات للشيخ ياسين وهن من بنات المشايخ والوجهاء والأعيان، وكان معلمهن آنذاك وهو أحد رموز الإخوان المسلمين الذين وصلوا إلى الضالع وأرادوا نشر فكر الإخوان المسلمين أو الدعوة الوهابية، وبالرغم من تلك الهزة العنيفة إلا أن الأمير لم يغير من سياسته إزاء منع تعليم الفتيات اللاتي لم تبن لهن مدرسة إلا في النصف الأخير من عام 1965م.

على المستوى الاقتصادي كان الفقر والمرض والجهل هي السمة المشتركة لغالبية سكان المنطقة حتى أصبح التقويم الذي يؤرخ به الناس أحداثهم يعتمد على الحوادث فيقولون سنة الجوع وسنة الهناء وسنة الشجري وسنة ما خرجت يافع وسنة ما هربت ردفان وسنة مقتل دايفي وسنة الحرب بالبحر.

سياسة الإفقار والتجويع التي اتبعها الحكم الأميري تجاه من كان يسميهم بالرعية بفرض الزكاة المقدرة والضرائب الباهظة والمصادرة وإحراق المزارع وفرض إجراءات عقابية ضد من كانوا يسمون بالمناوئين أو بالمخربين، ناهيك عن فرضه إعالة وخدمة كل جندي أميري على أسرة من الأهالي من الجند الذين كان يستأجرهم من المناطق المجاورة لإخماد الانتفاضات الشعبية وأذكر حادثة أنه في عام 1944م، حينما بدأت ألمانيا النازية تتلقى الهزائم وكان أمير الضالع حينذاك الأمير/ حيدرة بن ناصر بن علي شايف مؤيداً لألمانيا فخوفاً من أن تقوم بريطانيا بالانتقام منه وسلبه السلطة أمر بالتبرع لصالح الحلفاء دعماً باسم إمارة الضالع وفرض على كل مواطن (قرشين فرنصا) ما أضطر المواطنين إلى بيع أضحيات العيد حتى أن إذاعة (برلين) أذاعت الخبر متهكمة بأن الرايخ قد أهتز من تبرعات أمير الضالع إلى جانب بريطانيا حتى أنهم قالوا: إن مواطنيهم صرخوا حينما سمعوا الخبر بأن الأمير/ حيدرة سلم التبرعات ولم يصادرها. وقد تحملت المرأة الكثير من هذه الأعباء في ظل غياب الرجل، فتحملت المسؤوليتين: مسؤوليتها في البيت ومسؤوليتها في الحقل في الزراعة. كما أن الكثير من النساء كان العمل الذي يقمن به لكسب القوت هو جلب المياه والحطب إلى بيوت المقتدرين وطحن الحبوب في بيوت الأمراء والمشايخ، وكان يوجد أيضاً مكان لطحن البردقان وخدمة القوافل التجارية المتنقلة القادمة والنازلة من صنعاء إلى عدن والعكس.

من أهم الإجراءات الاقتصادية التي أثرت على حياة الناس كانت مشاركة الأمراء للتجار الكبار في أموالهم بالنصف من خلال الحصول على النصف في الكسب وعدم تحمل الخسارة ما عرض كثيراً من التجار إلى خسارة كبيرة في ظل اشتراط بريطانيا الضمانة من الأمير حتى تسمح لهم بالتجارة في عدن.

الترتيب الاجتماعي كان في منطقة الضالع على النحو الآتي:

الأمراء، المشايخ، الوجهاء، القادة العسكريون، التجار، الجند، الموظفون، الرعية، اليهود، العبيد، الأخدام. وكان واضحاً اتساع الهوة بين الفئة الحاكمة التي تملك كل شيء وسائر الفئات المطحونة، التي هي رعية ملك للحاكم، كل الامتيازات للأسرة الحاكمة وأعوانها في المأكل والملبس والمسكن والخدمات العامة ووسائل النقل. لقد كان محرماً على أية امرأة حتى ولو كانت من بيت تاجر أن تلبس ثوباً يضاهي ثياب نساء الإمارة، كما منع التزين بالحلي، فمنع على كل امرأة ما عدا نساء الأسرة الحاكمة أن تلبس الذهب في المناسبات، وكل من كانت لديها حلي من الذهب ظل